بالشيكات وليس بالرصاص تتم تسوية آخر الحروب الكبرى

كتبه بورخا فينتور | 23 سبتمبر ,2017

ترجمة وتحرير نون بوست

تعتبر بنت جبيل، مدينة لبنانية صغيرة، تنعم بحياة تجارية نشطة ومناخ رطب. وفي الواقع، تقع هذه المدينة على بعد كيلومتر من الحدود مع إسرائيل. وفي تلك المنطقة، فضلا عن المناطق المحيطة بها، يغيب هطول الأمطار بشكل دوري. في المقابل، تمطر الصواريخ بعد كل فترة بشكل منتظم. وعموما، وقع هذا الأمر عندما ازدادت حدة التوتر في المنطقة، تحديدا خلال سنة 2006، عندما عبر الجيش الإسرائيلي الحدود للدخول إلى الأراضي اللبنانية خلال حربه مع حزب الله.

في الحقيقة، استمرت أعمال العنف خلال حرب لبنان في سنة 2006 لأكثر من شهر، وكانت بمثابة الاستعراض العسكري من قبل أحد الجيوش الأكثر استعدادا والأفضل تدريبا في العالم. لكن، لطالما اتخذت بنت جبيل موقع الدفاع وقاومت على الرغم من صدور إشاعات تؤكد عكس ذلك. وفي ذلك الوقت، دافع مقاتلو حزب الله، المصنف من المجموعات الإرهابية من قبل دول الغرب، عن أنقاض المدينة إلى أن خمدت طلقات النار المتبادلة.

في الأثناء، ما حدث بعد هذه الحرب هو سرد لما وقع خلال تلك الأيام، وهو ما يفسر الأسباب التي جعلت حزب الله يكسب قوة ونفوذا في المنطقة. فضلا عن ذلك، بمجرد انسحاب القوات الإسرائيلية، توافدت على المنطقة شاحنات على متنها رجال مسلحون محملين بالمجارف، والمعاول،

وكميات كبيرة من الأموال. وبمجرد انتهاء القتال، بدأت عملية إعادة الإعمار. وخلال هذا الوقت، بدا حزب الله وكأنه "شركة" مختصة في التدمير والترميم.

في هذا السياق، نذكر حالة أحمد جمعة، أحد تجار المدينة الذي تحدث عن تجربته. ونقل التاجر أن "عناصر حزب الله توافدوا على المدينة بسرعة. وخلال جولتهم، تفطنوا إلى أن سيارته تحولت إلى خردة معدنية؛ فقاموا بتسديد نفقات إصلاح السيارة، وإعادة بناء منزله الذي تحول إلى أنقاض". علاوة ذلك، قدم حزب الله للتاجر مساعدات، مكنته من إعادة فتح متجره، بعد ثلاثة أيام من بداية الهدنة.

> أصبح سكان بنت جبيل يخلدون ذكرى انتصار حزب الله ضد الغزاة الإسرائيليين. فضلا عن ذلك، اتّسعت دائرة المؤيدين لحزب الله أكثر فأكثر، كما بلغ تأثيره ذروته.

من جانب آخر، شهد كل من جنوب لبنان وحتى العاصمة اللبنانية حالات مشابهة. فمن بين الحالات الأخرى التي شملتها مساعدات حزب الله، نذكر سليم كنعان، الذي دُمّر منزله بالكامل. وقد مر الرجل في إحدى المرات بمكتب لحزب الله، ومد العاملين فيه بعنوانه ورقم هاتفه. ومن جهتهم، وعده العاملون بمكتب المنظمة بالاتصال به خلال الأيام القادمة. من جانب آخر، لم تكن المساعدات مادية فحسب، فقد قام عناصر حزب الله والمؤيدون له، بأعمال إعادة البناء بأنفسهم.

في المقابل، يتمثل الجانب المظلم لهذه القصة الجميلة، في مصادر التمويل التي يتلقاها حزب الله. وبحسب المعلومات التي أدلت بها المنظمة، تتأتى الأموال "الرسمية" التي تم منحها للمواطنين من الشعب نفسه، حيث يتكفل حزب الله بتوزيعها. لكن في الواقع، تأتي هذه الأموال من دول معارضة "للقضية الشيعية"، وهي الدول التي تملك فيها المملكة العربية السعودية نفوذا غير جليّ خاصة وأنها ترسل لها الأوامر في الخفاء. ولهذا السبب، يعد النصر مثاليا: نظرا لأن حزب الله يكسب نفوذا بفضل أعمال ممولة في جزء منها، من قبل أعدائه.

بشكل عام، كانت النتيجة كالآتي: لن يمانع المواطنون الذين تلقوا مساعدات (من حزب الله)، والذين يشعرون بأنهم مهمشين من قبل الحكومة فضلا عن كرههم لإسرائيل والغرب، بحمل السلاح في حال كان الأمر ضروريا. وبهذا الشكل، أصبح سكان بنت جبيل يخلدون ذكرى انتصار حزب الله ضد الغزاة الإسرائيليين. فضلا عن ذلك، اتّسعت دائرة المؤيدين لحزب الله أكثر فأكثر، كما بلغ تأثيره ذروته.

الاستعمار "الناعم"

في الكثير من المناسبات، تُشنّ العديد من الحروب بالاعتماد على النفوذ. وعموما، يسمى ذلك في عالم السياسة "بالقوة الناعمة"، التي يتم تمثيلها من خلال توظيف الدبلوماسية قبل استعمال العنف، والالتزام بالتأثير والإقناع قبل اللجوء إلى المفاوضات العدوانية.

في هذا السياق، يمكن الحديث عن التدخل الروسي في الانتخابات الأمريكية، أو الهجمات والضغوطات التي عاشها الفرنسيون خلال الانتخابات؛ التي تعد في حد ذاتها أمثلة ممتازة عن "القوة الناعمة" التي تسعى إلى تحقيق أهداف بشكل أسهل بكثير. فضلا عن ذلك، يعد الاستخدام الإستراتيجي للحملات الانتخابية في شبكات التواصل الاجتماعي نموذجا عن "القوى الناعمة" الأكثر شيوعا وعلى نطاق واسع.

من جهة أخرى، تعدّ للقوة الناعمة أوجه كثيرة، لكن يقف وراءها بشكل دائم استثمار اقتصادي بمبالغ ضخمة تقدر بالملايين. وبنفس الطريقة السابق ذكرها، تنامى التأثير الصيني في أفريقيا بشكل كبير خلال السنوات الماضية، وذلك بفضل الاستثمارات التي أنجزتها في القارة مقابل استغلال مواردها المعدنية وموادها الأولية. فضلا عن ذلك، حدث نفس التأثير في أمريكا الجنوبية، من خلال استثمارات التعدين بقيادة دول على غرار الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا خاصة في تشيلي وبيرو.

> عد "مشروع مارشال" بين سنتي 1948 و1951، من أعظم وأول الأمثلة عن القوة الناعمة في العالم. وخلال هذا المشروع، تم إنفاق 13 مليار دولار أمريكي من أجل إعادة إعمار أوروبا التي دمرتها الحرب. أما الجانب الخفي لهذه الخطة، فقد تمثل في وضع حد لانتشار الشيوعية

من جهة أخرى، يمكن الحديث عن إحدى الحروب الكبرى الأخرى، ألا وهي حرب التأثير من خلال المعلومات. وعموما، يمثل وجود قنوات عالمية كبرى وتطورها الإستراتيجي خلال السنوات الماضية، خير دليل على ذلك. فضلا عن ذلك، تبدو هذه الحرب جلية خاصة في قنوات معروفة على غرار القناة الصينية" سي سي تي في"، والروسية "آر تي"، أو القطرية "الجزيرة".

ويضاف إلى القائمة السابق ذكرها، قناتيْ "بي بي سي" و"سي أن أن" الأمريكية. وفي الحقيقة، لا تقتصر هذه القنوات على التأثير من خلال المعلومات. فخلال السنوات الماضية، تطور انتشار الثقافة والقيم الأمريكية من خلال إنتاج أفلام الخيال الأمريكية. وفي السابق، كانت القنوات على غرار "هوليود" هي التي تنشر مثل هذه القيم والثقافة. أما في الوقت الراهن، أصبحت قنوات على غرار "نيتفليكس" أو "إتش بي أو" تضطلع بهذه المهمة.

في هذا السياق، يعد "مشروع مارشال" بين سنتي 1948 و1951، من أعظم وأول الأمثلة عن القوة الناعمة في العالم. وخلال هذا المشروع، تم إنفاق 13 مليار دولار أمريكي من أجل إعادة إعمار أوروبا التي دمرتها الحرب. أما الجانب الخفي لهذه الخطة، فقد تمثل في وضع حد لانتشار الشيوعية، التي كان ينظر إليها على أنها "المنافس" الذي يجب الإطاحة به. بالإضافة إلى ذلك، حمل هذا المشروع في طياته العديد من النتائج الأخرى، غير المعلنة سابقا. وفي هذا الصدد، دفعت الكثير من الأموال من أجل خلق أو إنشاء خطوط فكرية معينة -كانت الديمقراطية المسيحية المستفيد المباشر منها في بعض البلدان- وتم تعزيز تماسك المشروع الأوروبي، وفقا للشكل الذي اكتسبه في

الوقت الحالي.

الحرب العربية الباردة

يعدّ لحروب دفاتر الشيكات الحالية، في بعض الأحيان، العديد من العواقب التي لا يمكن التنبؤ بها. من جانب آخر، من المثير للانتباه أن يكون لفرض حصار على أرض عربية صغيرة، لكنها غنية بالموارد الطبيعية، على غرار قطر؛ أهمية فائقة. لكن، ما يعد مثيرا أكثر للاهتمام، هو التفكير في أن يكون "انتداب نيمار ضمن صفوف باريس سان جيرمان" من نتائج "هذا الحصار". وفي الواقع، يجب الأخذ بعين الاعتبار أن هذا التعاقد يُعتبر الأغلى من نوعه في تاريخ كرة القدم. ولتفسير العلاقة بين الحصار والتعاقد الأغلى في عالم كرة القدم، سنناقش كل جزء على حدى.

> سيطرة بعض شيوخ الدول الخليجية على العديد من نوادي كرة القدم، سواء بشكل مباشر أو عن طريق تقديم الدعم والرعاية التجارية، هذه الحرب تكتسي العديد من المعاني الأخرى

أولا، تتمثل القضية في أن بداية استغلال أكبر حقل للغاز الطبيعي في العالم من قبل قطر، أثار غضب المملكة العربية السعودية، إحدى أهم الأطراف فيما يسمى "بالحرب العربية الباردة". ويتمثل سبب انزعاج المملكة العربية السعودية في أن استغلال الغاز الطبيعي من قبل قطر، سيكون بشكل مشترك مع إيران، العدو الأكبر للمملكة العربية السعودية، والغرب. ونتيجة لذلك، شهد العالم أكبر حصار للمنطقة من قبل الدول الحليفة للمملكة العربية السعودية ضد قطر.

لكن، ما حدث خلال هذه الأزمة هو أن جميع هذه الدول، التي تعدّ من بين الدول الأغنى في العالم بفضل مواردها الطبيعية، تملك استثمارات في الغرب. ومن بين هذه الاستثمارات، نذكر على وجه الخصوص، كرة القدم، التي تخدم هذه البلدان في نشر دعايتها.

ثانيا، جعلت حقيقية سيطرة بعض شيوخ الدول الخليجية على العديد من نوادي كرة القدم، سواء بشكل مباشر أو عن طريق تقديم الدعم والرعاية التجارية، هذه الحرب تكتسي العديد من المعاني الأخرى. وفي الأثناء، حاولت قطر إظهار حجم ملاءتها المالية بهدف الوقوف في وجه الحصار المفروض عليها، وهو ما جعل فريق باريس سان جيرمان ثاني أغلى النوادي في العالم. أما في الوقت الحالي، فيضاف إلى المعادلة الآنف ذكرها قرار برشلونة بسحب الدعم المالي القطري عن فريقها، الذي سيكون له تداعيات مختلفة على الحرب العربية الباردة.

> يتم صرف الشيكات من أجل تحقيق نفس الهدف، ألا وهو التأثير

في المقابل، إن كان فريق باريس سان جيرمان ثاني أغلى فرق كرة القدم في العالم، فيعد ذلك لوجود

دلالات وأبعاد أخرى وراء كون مانشستر سيتي الفريق الأغلى على الإطلاق في العالم. وفي حال كان القطري، ناصر الخليفي، الشخص الذي يحكم قبضته على فريق باريس سان جيرمان الفرنسي، فإن الإماراتي منصور بن زايد آل نهيان، هو الشخص الذي يسيطر على مانشستر سيتي، الفريق الأغلى في العالم.

من جهة أخرى، شهد عالم كرة القدم "حرب باردة" مماثلة للتي سبق ذكرها. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن شركة الأمريكي، مالكوم جليزر، هي التي تحكم قبضتها على فريق مانشستر سيتي. أما منافسه تشيلسي، فهو خاضع لسيطرة الروسي رومان أبراموفيتش.

في المجمل، تتلخص مصادر التمويل في الحالات الثلاث الآنف ذكرها في الغاز والبترول. أما في الحالات الأربعة، فيتم صرف الشيكات من أجل تحقيق نفس الهدف، ألا وهو التأثير. وعموما، يمكن القول إن أفضل الاستثمارات من أجل الظفر بالحرب، لم تخصص فقط لشراء الرصاص؛ وإنما ساهمت أيضا في بناء المنازل، أو تأسيس وسائل إعلام، أو القيام بتعاقدات ضخمة في عالم كرة القدم. وعموما، تعد كل هذه الأشياء من صنع الرأسمالية.

المصدر: الأوردن مونديال الإسباني

رابط المقال : https://www.noonpost.com/19961/